إعراب الحقيقة المحمدية

تأليف

عادل بن شعيب شلار الرفاعي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك يوم الدين ، اللهم لك الحمد أنت قيِّم السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد لك ملك السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد أنت ملك السموات والأرض، ولك الحمد أنت الحق ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق، والنار حق، والنبيون حق، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت، وبك آمنت، وعليك توكلت، وإليك أنبت، وبك خاصمت، وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت، أنت المقدم، وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت .

الحمد لله الذي خلق مخلوقاً شريفاً وجمع فيه أنوار الجلال والتشريفات الكاملة ، وقال العارفون عنه : إنه النور المحمدي أو الحقيقة المحمدية ، ثم أظهر الله اسم هذا النور العظيم فسماه محمداً ورفع ذكره في العوالم فاقترن اسمه باسم الله ، فلا يذكر الله إلا ذكر محمد صلى الله عليه وسلم معه ، فأول ما عرف العرش حين خلق أنه (لا إله إلا الله محمد رسول الله) ،
وأول ما كتب القلم (لا اله إلا الله محمد رسول الله) ،
وأول ما كتب القلم بين عارضتي الجنة (لا إله إلا الله محمد رسول الله ، ما قدمنا وجدنا وما أكلنا ربحنا وما خلفنا خسرنا ، أمة مذنبة ورب غفور)
وأول ما عرفت الملائكة (لا اله إلا الله محمد رسول الله) ،
وأول ما عرف آدم بعد أسماء الله اسم محمد صلى الله عليه وسلم .

وجعل ربنا يصلي على محمد صلى الله عليه وسلم وأمر العوالم التي آمنت بـ (لا إله إلا الله محمد رسول الله) أن تصلي على محمد صلى الله عليه وسلم ، فيا رب صل على محمد صلى الله عليه وسلم صلاة تكون سبب نجاتنا وفلاحنا وقضاء حوائجنا وعلى آله وصحبه وسلم ، وبعد :

فقد طلب مني بعض الأخوان أن أكتب لهم كتاباً لطيفاً يعرف الناس على الحقيقة المحمدية وزبدة العلم فيها وطلبوا أن يكون بشكل واضح يسهل قراءته وفهمه ، فأجبتهم إلى ذلك واستعنت بالله فكتبت خلاصة العلم في مسألة الحقيقة المحمدية بأسلوب بعيد عن الإغراق في العرفان والفلسفات التي تناولت هذه المسألة تحت اسم (العقل الأول – والإنسان الكامل) وابتعدت عن العبارات التي يصعب على الإنسان العادي فهم أسرارها كقولهم في الحقيقة المحمدية (انتقل النور من الحضرة الواحدية إلى الحضرة الأحدية ففرحت به الحضرة

العَلَمية) وكقولهم (فصار نور الله بهذا الجمع قابلاً للكثرة بعد أن كان منفرداً في الواحدية) ومثل (لما تعلقت إرادة الحق بإيجاد خلقه، وتقدير رزقه لما تعلقت إرادة الحق بإيجاد خلقه، وتقدير رزقه فظهر بالملأ الأعلى، وهو بالنظر الأجلى، وكان له المورد الأحلى، فهو صلى الله عليه وسلم الجنس العالي على جميع الأجناس، والأب الأكبر لجميع الموجودات والناس.

ولما انتهى الزمان بالاسم الباطن في حقه صلى الله عليه وسلم إلى وجود جسمه، وارتباط الروح به، انتقل حكم الزمان إلى الاسم الظاهر، فظهر محمد صلى الله عليه وسلم بكليته جسمًا وروحًا فهو صلى الله عليه وسلم وإن تأخرت طينته، فقد عرفت قيمته، فهو خزانة السر، وموضع نفوذ الأمر، فلا ينفذ أمر إلا منه، ولا ينقل خير إلا عنه) فابتعدت عن مثل تلك العبارات مع معرفتي بشرحها وأسرارها حتى لا أفوّت على

طالب العلم مقصد الوصول إلى لبّ المسألة وخلاصة علومها وتقريب أدلتها وبيان شواهدها .

وقد سميت هذا الكتاب اللطيف (إعراب الحقيقية المحمدية)

واخترت هذا الاسم لما في معنى الإعراب من البيان وجلاء العلم ، وجعلته على ثلاثة وجوه من الإعراب بحيث استوفيت فيها خلاصة العلم بهذه المسألة ، والله أسأل أن يتقبل مني هذا العمل الذي هو أكرمني به وله المنة الفضل ، وأسأله أن يغفر الله لي ولوالدي وللمسلمين ويرحمنا ويدخلنا الجنة مع حبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم ، ويقضي الحوائج لي ولكل من قرأ هذا الكتاب واطلع عليه وقبله وأحبه إنك أكرم مسؤول وأعظم معطي وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين .

الإعراب الأول :

في بيان وجود الحقيقة المحمدية :

روى ابن أبي شيبة عن حارث بن مالك ، وروى الإمام أحمد والطبراني بسند رواته ثقات عن أبي الدرداء، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((لكل شيء حقيقة))

فهذا الكلام النبوي الكريم يضع لنا قاعدة علمية مفادها : أن لكل شيء موجود حقيقة ، وهكذا نرى كل عاقل يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم له وجود حقيقي ، لذلك لا بد أن يكون له حقيقة ، نسميها : حقيقة محمد صلى الله عليه وسلم، أو الحقيقة المحمدية، وهكذا تم لنا الإعراب الأول ببيان الدليل والبرهان على وجود الحقيقة المحمدية ، وننتقل إلى الإعراب الثاني ، وهو تعريف الحقيقية المحمدية .

الإعراب الثاني :

بيان ما هي الحقيقية المحمدية :

الحقيقية المحمدية : هي مجمع أنوار التجليات الربانية التي سيفيض أثرها على المكونات بعد إيجادها .

والمقصود بالتجليات :

وضرب العارفون بالله مثال الحقيقة المحمدية بالمرآة الصافية التي ينعكس عليها أنوار التجليات ، فما المقصود بالتجليات في هذا الباب من العلم ؟

المقصود هب تجليات ذات الله وصفاته وأسمائه وأفعاله .

1- هي تجليات ذات الله على الخلق : وأشرف الخلق الحقيقية المحمدية ، ودليلها رؤية النبي صلى الله عليه وسلم لربه في المعراج . فإذا رأى النبي صلى الله عليه وسلم ربه بقلبه وبصره

كما قال الله تعالى : ((ما زاغ البصر وما طغى)) وقوله ((ما كذب الفؤاد ما رأى)) فكان حصول ذلك مخبراً لنا أن حقيقته يجب أن تكون جامعة لتجليات مشاهدة ذات الله ،كذلك مشاهدة المؤمنين بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ربهم في الجنة كما روى البخاري في صحيحه عن جرير بن عبد الله، قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنكم سترون ربكم عيانا))

فهذا يدل على تجليات الله لحقائقهم ، وحيث أن سبب رؤيتهم لربهم هو إيمانهم وطاعتهم ومحبتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، جزمنا أن حقائق المؤمنين تستمد الاستعداد لرؤية الله عياناً من حقيقة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

2- تجليات صفات الله وأسمائه : لأن الله أظهر سيدنا محمد عبداً ربانياً فقال ربه عنه ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً

لِلْعَالَمِينَ)) وقال عنه : ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) وقال تعالى : ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)) وقال الله تعالى : ((فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ)) فقد جمع الله للنبي صلى الله عليه وسلم حظاً وافراً من جميع صفاته وأسمائه الجليلة ، وهذا الحظ هو أوفى وأعظم وأكمل حظ بين المخلوقات ، فلما ظهر لنا اجتماع هذه الصفات فيه وهو في مثاله الجسماني الظاهر ، دلنا على لزوم أن تكون حقيقته جامعة لأنوار تجليات صفات الله وأسمائه .

3- تجليات أفعال الله : والمقصود بتجليات أفعال الله هي التشريفات الإلهية لعبده المقرب المحبوب ، كتشريفه بالنبوة

وجعل الأنبياء تبعاً له وجعله سيد الخلق ، وأعلمهم و أتقاهم وأكملهم وأحسنهم وأعطاه الشفاعة والدرجة العالية ومقام القرب ولواء الحمد وجوامع الكلم والنصر والعزة وغير ذلك من التشريفات ، فلما ظهر لنا اجتماع التشريفات الإلهية ، علمنا أن اجتماعها كان قبل ذلك في الحقيقية المحمدية .

الإعراب الثالث :

خواص الحقيقية المحمدية :

١ - **الخاصية النورانية :** والمقصود أن الحقيقة المحمدي هي نور خلقه الله ، ونستدل على نورانية الحقيقة المحمدية من طريقين :

الطريق الأول ، إثبات نورانية المصدر : فإن المصدر الذي خلق الحقيقة والمحمدي ة متصف بالنور ومن أفعاله التنوير ، حيث قال الله تعالى : ((اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ)) فمن أسماء الله النور ، وأنه ينور مخلوقاته ، ولأنه النور وهو خالق الحقيقة المحمدية فلا بد أنه نوّرها بأنوار تجلياته عليها وسبب التنوير هو التقدير الإلهي بتشريفها .

الطرق الثاني ، ظهور نورانية الفرع : فقد ظهر لنا نورانية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وهو فرع عن حقيقته فلزم لذلك أن تكون حقيقته نورانية ، لأنها إذا لم تكن نورانية كانت ظلمانية ولا يصح أن يكون قلب وروح النبي صلى الله عليه وسلم وصفاته النورانية متفرعة من حقيقة

ظلمانية ، فإذاً يجب أن تكون حقيقته نورانية .

ومن الأدلة على نورانية رسول الله صلى الله عليه وسلم :

قوله تعالى : ((قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ)) فقد وصف الله النبي صلى الله عليه نبيه محمد اً صلى الله عليه وسلم بأنه نور ، وأن الله يخرجهم به من الظلمات إلى النور .

وقوله تعالى : ((وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)) فقد وصفه بالشمس المنيرة التي لا تكسف ولا يذهب ضوؤها

وقوله تعالى : ((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا

غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))

قال السيوطي في الدر المنثور :

وَأخرج ابْن أبي حَاتِم وَالْحَاكِم وَصَححهُ عَن ابْن عَبَّاس فِي قَوْله {الله نور السَّمَاوَات وَالْأَرْض} يَقُول: مثل نور من آمن بِاللَّه كمشكاة .

وَأخرج ابْن جرير وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم وَالْبَيْهَقِيّ فِي الْأَسْمَاء وَالصِّفَات من طَرِيق عَليّ عَن ابْن عَبَّاس {الله نور السَّمَاوَات وَالْأَرْض} قَالَ: هادي أهل السَّمَوَات وَالْأَرْض {مثل نوره} مثل هداه فِي قلب الْمُؤمن {كمشكاة}

وَأخرج عبد بن حميد وَابْن جرير وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم وَابْن مرْدَوَيْه وَالْحَاكِم وَصَححهُ عَن أبيّ بن كَعْب {الله نور

السَّمَاوَات وَالْأَرْض مثل نوره} قَالَ: هُوَ الْمُؤمن الَّذِي جعل الإِيمان وَالْقُرْآن فِي صَدره فَضرب الله مثله فَقَالَ {الله نور السَّمَاوَات وَالْأَرْض} فَبَدَأَ بِنور نَفسه ثمَّ ذكر نور الْمُؤمن

وَأخرج عبد بن حميد وَابْن جرير وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم وَابْن مرْدَوَيْه عَن شمر بن عَطِيَّة قَالَ: جَاءَ ابْن عَبَّاس رَضِي الله عَنْهُمَا إِلَى كَعْب الْأَحْبَار فَقَالَ: حَدثنِي عَن قَول الله {الله نور السَّمَاوَات وَالْأَرْض مثل نوره} قَالَ: مثل نور مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم كمشكاة قَالَ: الْمشكاة الكوة ضربهَا مثلا لفمه {فِيهَا مِصْبَاح} والمصباح: قلبه {فِي زجاجة} والزجاجة صَدره {كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّي} شبه صدر مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم بالكوكب الدري ثمَّ رَجَعَ إِلَى الْمِصْبَاح إِلَى قلبه فَقَالَ: توقد من شَجَرَة مباركة زيتونة يكَاد زيتها يضيء قَالَ: يكَاد مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم يبين للنَّاس وَلَو لم يتَكَلَّم أَنه نَبِي كَمَا يكَاد ذَلِك الزَّيْت أَنه يضيء وَلَو لم تمسسه نَار .

وَأخرج ابْن جرير وَابْن أبي حَاتِم عَن سعيد بن جُبَير {مثل نوره} قَالَ: مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم وَأخرج الطَّبَرَانِيّ وَابْن عديّ وَابْن مرْدَوَيْه وَابْن عَسَاكِر عَن ابْن عمر رَضِي الله عَنهُ فِي قَوْله {كمشكاة فِيهَا مِصْبَاح} قَالَ: الْمشكاة: جَوف مُحَمَّد صلى الله عَلَيْهِ وَسلم والزجاجة: قلبه والمصباح: النُّور الَّذِي فِي قلبه يُوقد من شَجَرَة مباركة} الشَّجَرَة: إِبْرَاهِيم {زيتونة لَا شرقية وَلَا غربية} لَا يَهُودِيَّة وَلَا نَصْرَانِيَّة ثمَّ قَرَأَ {مَا كَانَ إِبْرَاهِيم يَهُودِيّا وَلَا نَصْرَانِيّا وَلَكِن كَانَ حَنِيفا مُسلما وَمَا كَانَ من الْمُشْركين}

فإذا كان تفسير الصحابة والتابعين لقوله تعالى : ((مثل نوره)) أي نور المؤمن ، فإن سيد المؤمنين ومولاهم هو سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم ، لذلك فقوله ((مثل نوره)) أي مثل نور محمد صلى الله عليه وسلم

وذكر السيوطي عن أبي بن كعب رضي الله عنه في تفسير ((نور على نور)) {نور على نور} فَهُوَ يتقلب فِي خَمْسَة من

النُّور : فَكَلَامه نور ومدخله نور ومخرجه نور ومصيره إِلَى نور يَوْم الْقِيَامَة إِلَى الْجنَّة .

روى ابن حبان بسند صحيح عن أبي هريرة، قال: ((ما رأيت شيئا أحسن من رسول الله صلى الله عليه وسلم، كأن الشمس تجري في وجهه))

وقال عليه الصلاة والسلام : ((ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما)) رواه البخاري في صحيحه

فانظر هذا نور امرأة من المؤمنين فكيف بنور رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكيف بنور حقيقته صلى الله عليه وسلم

٢ أولية الحقيقية المحمدية :

عن عبادة بن الصامت قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إن أول ما خلق الله القلم، فقال له:

اكتب، فجرى بما هو كائن إلى الأبد)) رواه ابن ابي شيبة وأحمد وصححه الترمذي والحاكم

دلت هذه الرواية على أن القلم أول المخلوقات ، لكن هذه الرواية تعارض رواية البخاري عن عمران بن حصين قال : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : ((كان الله ولم يكن شيء غيره، وكان عرشه على الماء، وكتب في الذكر كل شيء، وخلق السموات والأرض)) رواه البخاري في صحيحه

دلت هذه الرواية على أن أول الخلق الماء ثم العرش ثم القلم ثم السموات والأرض .

وقال الطبري : حدثني محمد بن حميد، قال: حدثنا سلمة بن الفضل، قال: قال محمد بن إسحاق: كان أوّلَ ما خلق الله تبارك وتعالى النورُ والظلمةُ.

وقال القرطبي : وروى سعيد عن قتادة قال: أول ما خلق الله النور والظلمة .

وقال العلامة المحدث ملا علي القارى في مرقاة المفاتيح : قال ابن حجر: اختلفت الروايات في أول المخلوقات، وحاصلها كما بينتها في شرح شمائل الترمذي أن أولها النور الذي خلق منه – عليه الصلاة والسلام –، ثم الماء، ثم العرش .

وقال بدر الدين العيني في عمدة القارى : وقيل: أول ما خلق الله تعالى نور محمد صلى الله عليه وسلم.

قال بدر الدين : قلت: التوفيق بين هذه الروايات بأن الأولية نسبي، وكل شيء قيل فيه إنه أول فهو بالنسبة إلى ما بعدها.

وقال ملا علي القاري في مرقاة المصابيح : فالأولية إضافية، والأول الحقيقي هو النور المحمدي على ما بينته في المورد للمولد .

وهكذا نجد الشراح الذين دققوا في هذه المسألة يجعلون أولية الماء والعرش والقلم إضافية فأولية القلم باعتبار ما بعده لا باعتبار ما قبله . وأن أولية النور المحمدي أولية حقيقية إذ يستحيل أن يكون شيء مخلوق قبل خلق النور المحمدي لقوله عليه الصلاة والسلام ((كان الله ولم يكن شيء غيره)) .

طرق الاستدلال على أولية النور المحمدي :

– بقوله تعالى : ((مثل نوره كمشكاة فيها مصباح))

فالله وصف نبيه صلى الله عليه وسلم بأنه مصباح يضيء على

العوالم وهو السراج الوهاج ، ولا بد لهذا النور من شرف التقدم في الوجود .

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((إن الله عز وجل خلق خلقه في ظلمة، فألقى عليهم من نوره، فمن أصابه من ذلك النور اهتدى، ومن أخطأه ضل، فلذلك أقول: جف القلم على علم الله)) رواه الترمذي وحسنه

فهذا الحديث يدل على وجود نور وظلمة سابق فالله خلق الخلق وألقى عليهم النور .

- بقوله تعالى : ((ورحمتي وسعت كل شيء)) وقوله تعالى : ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)) فكلمة للعالمين أي جعل النبي صلى الله عليه وسلم رحمة للعوالم كلها ، فلزم أن تكون حقيقة رحمته صلى الله عليه وسلم موجودة

قبل العوالم ، وهذه الرحمة المحمدية هي فيض من نور الحقيقة المحمدية ، ويلزم من وجود الفيض المتقدم وجود أصله وهو الحقيقة المحمدية

- طريقة الأولية النبوية يوم الدين فإنه عليه الصلاة والسلام صاحب الأوليات التشريفية النورانية في الدنيا والآخرة فهو المقدم عند الله في الدنيا وهو المقدم عنده في المحشر والشفاعة وافتتاح الجنة ودخولها ، فلزم من ذلك أن تكون الأولية والتقديم لحقيقته على سائر الحقائق .

فعن جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: ((أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحى بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي ، وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي)) رواه البخاري ومسلم

فالناس يحشرون على عقبه لأنه الأول المقدم عليهم . لأنه الأول فلا يختم النبوات غيره لذلك فهو العاقب .

جاء في المقاصد الحسنة للسخاوي حَدِيث: كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ، وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ، أبو نُعيم في الدلائل، وابن أبي حاتم في تفسيره، وابن لال، ومن طريقه الديلمي، كلهم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة به مرفوعا، ورواه ابن سعد عن قتادة مرسلاً وسنده حسن .

فإن قيل : لماذا جعله الله أول الأنبياء في الخلق وآخرهم في البعث ؟ السبب حتى يظهر للناس اكتمال الشرائع به ويظهر للناس كمالات النبوة ، ولتشريف الأنبياء ، فلو جعله الله أول الأنبياء في البعث لألغيت النبوات من بعده وأصبح من بعده تابعاً له ، ولا حاجة للنبوة .. لذلك حتى تظهر النبوات جعلها آخر الأنبياء بعثاً .

فعن جابر وأبي بن كعب وأبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((مثلي ومثل الأنبياء كمثل رجل بنى بنياناً فأحسنه وأجمله، فجعل الناس يطيفون به، يقولون: ما رأينا

بنيانا أحسن من هذا، إلا هذه اللبنة، فكنت أنا تلك اللبنة)) رواه البخاري ومسلم ، فقد آخر النبي صلى الله عليه وسلم ليكمل به محاسن الدين ويتم به نور الله .

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة)) رواه البخاري في صحيحه فإذا كان أنباع محمد صلى الله عليه وسلم هو الأولون المقدمون بالفوز والتشريف يوم الفلاح والخسران فقد دل ذلك على أولية الحقيقية المحمدية لأن ارتباطهم بها هو سبب تقدمهم بالأولية يوم الدين

٣ – بيان أن الحقيقة المحمدية جامعة للتشريفات :

تقرير هذا المبحث بالبرهان التالي ثبوت جملة واسعة من التشريفات الإلهية للنبي صلى الله عليه وسلم وحيث تقرر أن لكل شيء حقيقة ، لزم أن تكون حقيقته جامعة

لكمالاته العتيدة وفضائله المباركة المفيدة وصفاته الحميدة وخصاله المجيدة وأنواره الهادية الرشيدة .

- تشريف النبي صلى الله عليه وسلم بظهور نبوته قبل جميع الأنبياء روى ابن أبي شيبة والحاكم وصححه ووافقه الذهبي عن ميسرة الفخر، قال: قلت لرسول الله صلى الله عليه وسلم: متى كنتَ نبياً ؟ قال صلى الله عليه وسلم : ((وآدم بين الروح والجسد))

وروى الأمام أحمد وصحح الحاكم وابن حبان عن العرباض بن سارية السلمي، قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((إني عند الله في أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل في طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك، دعوة أبي إبراهيم وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمي التي رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم)) .

- تشريفه باتساع رحمته وكمال شفقته وعلو خلقه ، قال الله تعالى : ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)) وقال تعالى : ((لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَاعَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ)) وقال تعالى : ((وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ)) .

- تشريفه باستحقاق الفضائل قال الله تعالى : ((الله أعلم حيث يجعل رسالته)) فكما جعله مستحقاً لتجليات التشريف فحقيقته أيضا مستعدة لقبول تجليات الذات والصفات والأسماء .

- تشريفه بمقام البشارة والإنذار والرحمة لجميع العوالم وقوله تعالى : ((تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا)) وقال الله تعالى : ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)) فالبشارة منطوية في مقام الرحمة .

- تشريفه بمقام الإمامة والسيادة ، فعن أبي بن كعب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم غير فخر» رواه احمد وصححه الترمذي والحاكم

وعن أبي سعيد، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد ولا فخر، وما من نبي يومئذ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي، وأنا أول من تنشق عنه الأرض ولا فخر)) رواه الترمذي وحسنه .

- تشريفه برؤية ربه : قال تعالى : ((ما زاغ البصر وما طغى)) وقال ((ما كذب الفؤاد ما رأى)) و روى الطبراني بسند صحيح عن ابن عباس قال: ((رأى محمد صلى الله عليه وسلم ربه عز وجل مرتين: مرة ببصره، ومرة بفؤاده))

- تشريفه بالمقام المحمود والشفاعة والوسيلة : قال تعالى : ((وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا))

وروى الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص، أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «إذا سمعتم المؤذن، فقولوا مثل ما يقول ثم صلوا علي، فإنه من صلى علي صلاة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة، لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة))

وروى البخاري ومسلم عن أنس: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((يجمع الله المؤمنين يوم القيامة كذلك، فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيأتون آدم، فيقولون: يا آدم، أما ترى الناس خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، اشفع لنا إلى ربنا حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناك،

ويذكر لهم خطيئته التي أصابها، ولكن ائتوا نوحا، فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتون نوحا، فيقول: لست هناكم، ويذكر خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا إبراهيم خليل الرحمن، فيأتون إبراهيم فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم خطاياه التي أصابها، ولكن ائتوا موسى، عبدا آتاه الله التوراة، وكلمه تكليما، فيأتون موسى فيقول: لست هناكم، ويذكر لهم خطيئته التي أصاب، ولكن ائتوا عيسى عبد الله ورسوله، وكلمته وروحه، فيأتون عيسى، فيقول: لست هناكم، ولكن ائتوا محمدا صلى الله عليه وسلم، عبدا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأنطلق، فأستأذن على ربي، فيؤذن لي عليه، فإذا رأيت ربي وقعت له ساجدا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال لي: ارفع محمد وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع فيحد لي حدا، فأدخلهم الجنة، ثم أرجع، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله أن

يدعني، ثم يقال: ارفع محمد وقل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها ربي، ثم أشفع فيحد لي حدا، فأدخلهم الجنة، ثم أرجع، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء الله أن يدعني، ثم يقال: ارفع محمد، قل يسمع، وسل تعطه، واشفع تشفع، فأحمد ربي بمحامد علمنيها، ثم أشفع، فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة، ثم أرجع فأقول: يا رب ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن، ووجب عليه الخلود، قال النبي صلى الله عليه وسلم: يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن شعيرة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه من الخير ما يزن برة، ثم يخرج من النار من قال: لا إله إلا الله وكان في قلبه ما يزن من الخير ذرة))

- تشريفه بمقام الشهادة على الخلق قال تعالى : ((يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا)) وقال تعالى

: ((فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا))

- تشريفه بالأوليات ، فهو أول الناس خلقاً وأول الأنبياء نبوة و أول من تنشق عنه الأرض وأول من يؤذن له بالكلام والسجود ، وأول شافع ومشفع وأول من ينظر إلى ربه وأول من يجوز على الصراط وأول من يستفتح الجنة ويدخلها .

قال عليه الصلاة والسلام ((فيضرب الصراط بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته)) رواه البخاري .

وروى مسلم عن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أمرت لا أفتح لأحد قبلك))

- قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع)) رواه مسلم

- وقال عليه الصلاة والسلام : ((كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ، وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ)) أبو نُعيم في الدلائل، وابن أبي حاتم في تفسيره، وابن لال، ومن طريقه الديلمي، كلهم من حديث سعيد بن بشير عن قتادة عن الحسن عن أبي هريرة به مرفوعا، ورواه ابن سعد عن قتادة مرسلاً وسنده حسن وهكذا فكل عاقل يثبت اجتماع انوار التشريفات الالهية في الحقيقية المحمدية بأدلة ظهور هذه التشريفات على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم .

- عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة)) رواه البخاري في صحيحه فإذا كان

أنباع محمد صلى الله عليه وسلم هو الأولون المقدمون بالفوز والتشريف يوم الفلاح والخسران فقد دل ذلك على أولية الحقيقية المحمدية لأن ارتباطهم بها هو سبب تقدمهم بالأولية يوم الدين .

- تشريفه بالصلاة عليه ، قال الله تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا)) وصلاة الله على محمد صلى الله عليه سلم يعني أنه يرحمه ويشرفه بالقرب والعزة والتقدم ومن لوازم هذا التقدم تقدم حقيقته بالوجود التشريفي والإفاضة النورانية .

ومعنى صلاة الملائكة هو الدعاء (اللهم صل على محمد) صلى الله عليه وسلم .

ولأن أنوار النبي صلى الله عليه وسلم تفيد العوالم فإن المخلوقات تصلي عليه لما يغمرهم ربهم من أنوار فضل المعلم عليه الصلاة والسلام .

فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله وملائكته وأهل السموات والأرضين حتى النملة في جحرها وحتى الحوت ليصلون على معلم الناس الخير))

٤ – إفاضة الحقيقية المحمدية على الأكوان :

قال الله تعالى : ((اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ))

قد ذكرنا في السابق تفسير الصحابة لقوله (مثل نوره) أي نور محمد صلى الله عليه وسلم ، وفي الآية مثال مضرب لبيان إفاضة النور المحمدي على عوالم المشكاة فالمقصود بالمشكاة هي عالم العرش وما فيه من السموات والأرضين .

وقال الله تعالى مؤكداً إفاضة النور المحمدي : ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا * وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا)) فقد جعله الله سراجاً منيراً وحذف معموله ليدل على سعة إنارته وعلى اتساع العوالم التي ينيرها السراج المنير بحقيقته النورانية صلى الله عليه وسلم .

وقال عليه الصلاة والسلام : ((ولو أن امرأة من أهل الجنة اطلعت إلى أهل الأرض لأضاءت ما بينهما)) رواه البخاري في صحيحه

فانظر هذا نور امرأة من المؤمنين كيف يفيض على عالم السماء والأرض فكيف بإفاضة نور رسول الله صلى الله عليه وسلم على العوالم ، وكيف بنور حقيقته صلى الله عليه وسلم ، فلا بد أن تكون إفاضة عظيمة واسعة .

تنبيه حول حديث (نور نبيك يا جابر) :

قال القسطلاني في المواهب :

روى عبد الرزاق بسنده عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت يا رسول الله، بأبي أنت وأمي، أخبرني عن أول شيء خلقه الله تعالى قبل الأشياء. قال صلى الله عليه وسلم: ((يا جابر، إن الله تعالى قد خلق قبل الأشياء نور نبيك من نوره))

ليس من العلم في شيء الحكم على الحديث أنه موضوع أو مكذوب على النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك لأن الحكم

على الحديث بالوضع بسائق الجهل ليس من العلم

وإنما من العلم القول عند هذا الحديث :

نسبه بعض الحفاظ إلى عبد الرازق وصححه بعضهم وسكت معظم المحدثين عن بيان حاله .

ولا يجوز الحكم على هذا الحديث بالوضع بل يقول لم أجده في كتب عبد الرزاق ولا في كتب الحديث المعتمدة والله ورسوله اعلم بحاله ، وعليه بالسكوت فلا يحكم بصحته ولا بانه موضوع لعدم معرفة من وضعه وما سنده ، ثم إنني لم أجد أحداً من أئمة التصحيح والتضعيف قال عن حديث جابر موضوع ، ويجوز الأخذ بقول من صححه ولا حرج لعدم ثبوت أنه موضوع .

ثم إن ما قدمناه من الدراسة يدل على صحة معنى حديث جابر رضي الله عنه في عبارته الأولى ، ويدل على فساد ظاهر عبارة (فأخذ قبضة من نوره) في بقية سياق الرواية المنقولة .

قال الزرقاني في شرح المواهب عند شرح قوله عليه الصلاة والسلام (من نوره):

إضافة تشريف وإشعار بأنه خلق عجيب ، وأن له شأنا له مناسبة ما إلى الحضرة الربوبية على حد قوله تعالى ونفخ فيه من روحه، وهي بيانية أي من نور هو ذاته لا بمعنى إنها مادة خلق نوره بل بمعنى تعلق الإرادة به بلا واسطة شيء في وجوده

خاتمة :

ماذا نستفيد من الاعتقاد بوجود الحقيقية المحمدية ؟

نستفيد زيادة التوقير للنبي صلى الله عليه وسلم ، والعلم بعلو تشريف الله له ، معرفة كمال حقائقه وأخلاقه وصفاته الحميدة وخصاله المجيدة ، وخاصة أن توقير النبي صلى الله عليه وسلم من الأمور المطلوبة في الإيمان كما قال الله تعالى : ((لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)) وقوله تعالى : ((وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ

خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ))

قال البوصيري رحمه الهآ :

دع ما ادعته النصارى في نبيهم

واحكم بما شئت مدحاً فيه واحتكم

وانسب إلى ذاته ما شئت من شرف

وانسب إلى قدره ما شئت من عظم

فإن قدْر رسول الله ليس له

حد فيعرب عنه ناطق بفم

تمت المذكرة بحمد الله ومنته والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم

اللهم اغفر لنا وارحمنا